«ليتك ولدت هنا»!

غسان شربل

ارتبك مدير الفندق بالوافد الجديد. راح يتفقد المكان. هذه غرفة ادولف هتلر. وهذه شقة جوزيف ستالين. وسرير ماوتسي تونغ. وزاوية بول بوت. هذا المكان غير ملائم.

تفقد الجناح الأفريقي. الإمبراطور بوكاسا في زنزانته مع صورة نابوليون. وموبوتو سيسي سيكو يبحث عن نادل يرميه للتماسيح. وعيدي أمين يواصل تهريجاته الدموية. وهذا المكان غير ملائم.

لهذا الجناح نكهة اخرى. غاندي جالساً على حصيرته. ومارتن لوثر كينغ منفرداً بحلمه. وإبراهام لينكولن يتابع الـ«سي ان ان». وسيمون بوليفار يتمشى مع تشي غيفارا. هذا مكان لائق لكن الوافد يستحق اكثر.

يختتم مدير الفندق جولته ويصدر قراره. وحدها شرفة التاريخ تليق بنلسون مانديلا.

لم يحدث ان انحنى العالم لرجل كما فعل لدى شيوع نبأ وفاته. كان كلمة العملاق صنعت لأجله واستخدمت خطأ في وصف غيره. تذكر الناس قصة القامات. في حضرة هالته يبدو سيد البيت الأبيض ولداً مذهولا أمام عراف. ويبدو قيصر الكرملين ضابطا ارسلته الـ «كي جي بي» في مهمة سرية. سيد الإليزيه يظهر عاريا من الأوسمة. وحارس 10 داونينغ ستريت رجل عادي لزمن عادي.

لا يرتكب العالم مثل هذا الذنب الناصع الا نادراً. رفع الكوكب قبعته اجلالا. كأنه شعر بخسارته. لا جيوشه جرارة ولا أساطيله تعتقل البحار. لكنه اقوى وأعنف. رجل صنع قصته فصنع له الشعب أسطورته. رفع رأسه ضد التمييز العنصري وأبحر مع قدره. توالت السنوات وراء القضبان وظل السجين مقيما في عنفوانه وجبهته. عرضوا عليه الحرية مشروطة بالتنكر لحلمه فرد بابتسامة احتقار. ومن داخل الزنزانة لمعت قبضته في ضمير شعبه وضمير العالم.

مفاتيح القصة ليست سرية. كرامة الإنسان. مقاتلة الظلم بلا هوادة. رفض امتهان الحقوق والكرامات. الحق في العيش الكريم وتساوي الفرص. الديموقراطية وحقوق الإنسان.

في السجن الذي امتد سبعة وعشرين عاماً اتخذ قراراً سيغير مصير بلاده. تعلم لغة الأقلية البيضاء المتسلطة. غاص في ثقافتها وشعرها وتراثها. مكنه ذلك من ملامسة مخاوفها وهواجسها. وحين خرج من السجن كان اتخذ قراره. نعيش معاً في ظل الديموقراطية. المصالحة لا الثأر. لا مكان للهيمنة البيضاء. ولا مكان لهيمنة مضادة. ولم يكن القرار سهلاً. ففي ذاكرة السود عقود من القهر كان ممنوعا عليهم فيها الاقتراب من قرى الأسياد ومدارسهم ونواديهم.

ساعة خروجه من السجن في 1990 خاطب منتظريه قائلاً: «اقف هنا أمامكم لا كرسول بل كخادم ذليل أمامكم أمام الشعب. إن تضحياتكم الدؤوب والتاريخية هي التي جعلت من الممكن ان اقف هنا اليوم. ولهذا اضع ما تبقى من سنوات عمري بين ايديكم». وفي 1993 شاهده العالم يتقاسم نوبل للسلام مع عدوه الذي تحول شريكا وهو آخر رؤساء نظام التمييز فريدريك دو كليرك.

في السنة التالية وفي اول خطاب بعد فوزه كأول رئيس اسود لجنوب أفريقيا توجه إلى مواطنيه قائلا: «حان الوقت لمداواة الجراح. حان وقت تخطي الهوة التي فرقت بيننا. حان وقت البناء». قاد الرجل عملية انتقال سلمي للسلطة. فكك النظام العنصري. وجنب بلاده حربا اهلية طاحنة.

أدرك مانديلا ان عليك ان تلتفت الى الآخر الذي لا يشبهك في الوطن. ان تفهمه وتلتقي معه في الدولة ومؤسساتها. وأن تبنى المصالحة على العدالة والتسامح والتطلع الى الازدهار والمستقبل المشترك. وبعد خمسة اعوام غادر موقع القرار مكتفيا بتوظيف هالته في خدمة وطنه وشعبه.

قصة مانديلا قصة العاشق. عاشق للحرية والكرامة. عاشق للحياة والعدالة والتسامح. وعاشق أيضاً للموسيقى والنساء والثياب الجميلة والقمصان المزركشة والملاكمة والرقص. عاشق لشعبه وللإنسانية.

يغيب مانديلا فيما تغرق بلداننا في الظلام وتسافر عواصمنا الى الكهوف. لا نعترف بالآخر. لا نقبله الا عبدا او جثة. نريد شطب ملامحه ومحو تراثه واقتلاع جذوره. نسينا مفردات كرامة الإنسان وحقوق الفرد واحترام الاختلاف والاعتراف بالآخر. اعرف ان كثيرين استقبلوا نبأ وفاته بالقول ليتك ولدت هنا. يحتل مانديلا شرفة التاريخ وتندفع نحن في اتجاه الهاوية.

عن الحياة

مانديلا «التمثال الحي»

عبد اللطيف الزبيدي

لن أقول إن زمن النضال الجميل مضى. «لن أقول إن عهد شهامة الكفاح انقضى» لن أقول إن عصر الرضا الإجباري اقتضى. متى كانت الرموز تموت؟ متى كانت المآسي تفوت؟ متى كانت المبادئ تباع مقابل القوت؟ لهذا لا تصدقوا وسائل الإعلام: لم يمت مانديلا.

أرجو أن تعلمني أيها العجوز الرائع، فأنت تقلب المفاهيم. «كيف يكون المرء في الخامسة والتسعين أنضر شبابا من كل الشباب؟ كيف يغير معادلات سخفاء العالم العنصريين الاستعماريين. فإذا هو فوق كل أبيض وكل بياض؟ كيف يؤمن، رغم كل الأحداث والوقائع، بأن فلسفة التاريخ فوق كل تاريخ وتاريخ للأحداث وحادثات الليالي؟ كيف يُفهم وحوش القوى أن التاريخ يكتب صفحاته مداد الصفحات، ورق الصفحات؟

ميلادك سنة انتهاء الحرب العالمية الأولى، كان إيذاناً بمعركة أطول. «وكان صبر الناس لا حدود له. «لكنك كنت ترى القرن يوماً أو بعض يوم. «دقائق معدودات لدى العظيم، تمر عبرها سبع وعشرون سنة في السجون كلمح البصر. «هي ذي النظرية النسبية في فيزياء النضال.

لقد شددت الرحال وعزمت على السفر بعيداً، الله معك. «لن أثقل عليك بالسؤال.» قل لي فقط، ما أشد تفاهة الذين حاولوا ثنيك عن الطريق بحصاة من هنا، بطائرة ورقية من هناك، بكلمة نابية، بأكذوبة. . .»المضحك المبكي هو أن أحفاد أولئك هم الذين يسهبون في تقريضك ومديحك، ولكنهم يواصلون السخافة نفسها مع شعوب أخرى، ولا يتورعون.

لست حزيناً لأنك تقاعدت وارتقيت إلى مهمة أرفع وأنبل، ولكن لأن إفريقيا وجيرانها في آسيا، لم يستوعبوا بعدُ الدروس.»لم يدركوا بعدُ أبعاد الرسالة.»الرسالة الأمانة القيمة لا تُشترى في سوق، ولا توجد مطروحة على الطريق.»تحتاج إلى إدراك عميق، وحسن طالع وتوفيق، وتخطيط وتنسيق، وشق طريق، نحو آفاق الشروق والبروق.»لكن، لدي سؤال أخير: حين كنت في سن شبابنا لم تفكر في تدمير بلدك، في تفجير آثاره ومعالمه، مآثره ومفاخره، كان في إمكانك أن تأكل كل إفريقيا بالإستثناء لا بـ «القاعدة»، فلمَ لم تفعل؟ أنت إذاً من طينة أخرى.»حتى الطينة، سموت عليها.

لـزوم ما يلزم: الضاد رائعة، كان كلمة تبجيل تعني: تبَ جيل لا يفهم.

لذلك يبقى مانديلا حياً

نيكولاس كريستوف

الحقيقة المفضلة لدي عن الزعيم الراحل نيلسون مانديلا هي أنه دعا أحد سجانيه البيض السابقين والذي ساعد على سجنه لمدة 27 عاماً، الى حفل تنصيبه رئيسا لجمهورية جنوب افريقيا. كانت علامة على شهامة ودفء مانديلا، وغياب نزعة الانتقام تماماً عنه كان السمة التي تميز بها مانديلا.

هناك الكثير من المناضلين والمنشقين العظام، لكن قليلين منهم نجحوا في بلوغ مرتبة الزعيم الوطني. إن الصفات التي تميز المتمرد – الشجاعة الفجة والعناد بل وحتى عدم المعقولية – لا تصنع جميعها رئيساً عظيماً. لقد واجه مانديلا الكثير من الضغوط التي كان من الممكن أن تجعله ضيق الأفق ويقوم بإذلال من أذلوه بل وقتلوا اصدقاءه، لكنه وبطريقة ما قاومهم. هو أعظم رجل رأيته في حياتي.

بمعنى أوسع قام مانديلا بتلخيص خدمة الناس والتضحية أكثر من أي شخص آخر في جيله. كان لدى مانديلا مستقبل مهني واعد كمحام، كان بإمكانه أن يعمل مع النظام. لكنه تخلى عن ذلك ليناضل من أجل شعب وطنه. واستمر مانديلا بنفس التحدي حتى خلال محاكمته التي كان يواجه فيها احتمال الحكم عليه بالإعدام. لقد عُرضت عليه فرصة الإفراج المبكر أكثر من مرة خلال فترة سجنه التي استمرت 27 عاماً، بل ترجته الحكومة ليقبل الافراج المشروط لأنه كان يمثل لها احراجاً خلف القضبان. لكنه رفض قبول أي شيء سوى الافراج غير المشروط اطلاقاً – وحصل على ذلك في نهاية الأمر.

كان وضع مانديلا لوطنه في المرتبة الأولى يعني مشاكل عائلية له أيضاً، من ذلك انفصاله عن زوجته ويني بعد إطلاق سراحه. كما كان يعني مواجهته لحلفائه لوقت طويل، والذين ظنوا أنه سيُذعن للدوامات الاقتصادية والعنصرية ويضعُف موقفه. كما كان يعني ذلك توليه الرئاسة لفترة واحدة فقط حتى يُثبت أن جنوب افريقيا بلد تحكمه القوانين وليس الرؤساء الذين يحكمون طوال عمرهم. وقد ضرب بذلك مثالاً للحكم تردد صداه عبر المنطقة.

عندما يتناقش الخبراء حول تعثُر أفريقيا خلال فترة ما بعد الاستعمار فإن عاملاً مشتركاً يُشار اليه هو ضعف الحكم وضعف الزعامة «ويرجع ذلك جزئياً الى نُظم التعليم البائسة والصراعات القبلية التي وضعتها السلطات الاستعمارية». كانت هناك أمثلة قليلة مشرقة للزعامات العظيمة في أفريقيا وخارج بوتسوانا. ثم أثبت مانديلا أنه عظيم وهو رئيس كما كان عظيماً وهو مناضل ومثل نموذجاً مُلهماً ومؤثراً. ونظر الناس عبر أفريقيا والعالم الى مانديلا باعتباره الهاماً للخدمة العامة والزعامة. لقد رفع من مستوى التحدي وصعب المهام، ولعله ليس من قبيل المصادفة أن تحسنت الزعامة في افريقيا كثيراً في فترة ما بعد رئاسة مانديلا لبلاده.

هناك رسالة ايضاً لبقية العالم. عندما كان مانديلا خلف القضبان وأحوج ما يكون للعون ظلت الكثير من دول العالم في صمت مُطبق، بل إن ديك شيني صوت في 1986 ضد قرار يدعو جنوب أفريقيا للإفراج عن مانديلا. كان ذلك قُصر نظر ونحن نعاني من قُصر نظر مماثل عندما لا نرفع صوتنا متحدثين من أجل المناضلين في كثير من الدول مثل الصين. وفي نهاية الأمر ستسود الحرية كما حدث في جنوب افريقيا.

دور مانديلا في مصالحة السود والبيض في جنوب أفريقيا معروف جيداً، لكن ربما ما هو أقل شهرة هو عمله الذي لا يكل لمحاربة مرض الإيدز وتحقيق السلام للشعوب المتحاربة في قارة أفريقيا.

لم يكن زعيماً لجنوب افريقيا فحسب بل للعالم أجمع. نعم قد تكون رحلت شخصية عظيمة عن عمر 95 سنة. لكن سافر عبر أفريقيا والعالم وسترى بصمة مانديلا وتراثه لذلك مانديلا يبقى حيا.

عن «الشرق الأوسط» اللندنية

نبكي مانديلا .. أم نبكي الجزائر؟!

سعد بوعقبة

هل يحق لنا أن نبكي الجزائر من خلال بكاء مانديلا؟!مانديلا الذي تدرب في الجزائر على النضال والحرية عندما كانت الجزائر قبلة الحرية.

ها هو يصبح رمز الحرية في العالم وليس في إفريقيا فقط، فيما تتراجع أمه الجزائر التي أرضعته الحرية في خريف وربيع 1962 و1963 إلى حالة أصبحت معها رمزا للظلم والاستبداد والفساد والتزوير!

الجزائر التي علمت مانديلا كيف يكون حرا.. هاهي اليوم تعلم الأفارقة كيف يخضعون إلى الإليزي؟!الجزائر التي انتقمت للكنغولي الثائر باتريس لومومبا، فقرصنت طائرة العميل تشامبي الذي قتل لومومبا، وهي تعبر الأجواء الجزائرية باتجاه باريس وأجبرتها على الهبوط، وأسر تشامبي وتركه يموت في بلد الحرية الجزائر لأنه كان أحد أعداء الحرية في إفريقيا..

هذه الجزائر هي التي تسمح اليوم للطائرات الفرنسية بأن تعبر الأجواء الجزائرية لتقنبل جيراننا في مالي بحق أو بغير حق، ويقدم ذلك على أنه نوع من ممارسة حماية الحرية.! أليس من حقنا أن نغني الآن الأغنية النضالية «تبدل الزمان يا بابا.. تبدل الزمان... والجزائر العزيزة علينا كثرت فيها لحزان»!

مانديلا مات بعد أن حرر بلده.. وأميلكار كابرال قتل هو الآخر على طريق حرية بلده غينيا بيساو وجزر الرأس الأخضر، وهو أيضا أحد تلاميذ الحرية في الجزائر.! الآن لم نعد نسمع الراحلة مريم ماكيبا تغني: أنا حرة في الجزائر.. ولا نسمع بيلندا السمراء الأنغولية تصدح باسم الجزائر كعنوان للحرية في أدغال وجبال إفريقيا وتغني: موزنبيقي، أنغولا غينيا الجزائر.. كاب فارتي.!

جميلة بوحيرد تكرم في بيروت بعرس فضائي عربي.. وتهان في بلدها الجزائر.! لأن الجزائر لم تعد الجزائر؟!

لم يبق للجزائر سوى أن تعتذر لتشامبي على اعتقاله وتركه يموت في سجن الجزائر.!وأن تعتذر لـ: أيا نسميث زعيم العنصرية في جنوب إفريقيا على دعم مانديلا ضده.!كنا نحاصر النفوذ الفرنسي في إفريقيا، في السينغال ومالي والنيجر والتشاد والكونغو وغيرها من الأماكن، فأصبحت فرنسا الآن تحاصرنا من الجهات الأربعة وعلى حدودنا.! وبعملائها.! لأن الجزائر لم يعد فيها بومدين الذي يقول لجيسكار فرنسا.. اسحب طائراتك من السنغال وإلا قنبلتها.!

بل الجزائر أصبح فيها قنوات إعلامية تسبح بحمد الحاكم وتتهم بومدين بالعمالة لفرنسا! بلدنا صغرت لما صغر حكامها وانتهى دورها عندما صارت عنوانا للفساد والاستبداد بعد أن كانت سيدة إفريقيا للحرية.. تصدح بها كل الحناجر.. آه يا وطني.!

نقلا عن «الخبر» الجزائرية